

التطورات الدينية في مدينة تهودة وضواحيها
(القرن الثاني إلى القرن الخامس الميلادي)

Religious Developments in the City of Tahouda and Its Surroundings
(2nd–5th Centuries AD)

د. / وابل امحمد

جامعة ابن خلدون تيارت.

البريد الالكتروني: Mhammed.ouabel@univ-tiaret.dz

الملخص

يتطرق هذا المقال إلى دراسة الواقع الديني في منطقة تهودة وضواحيها من القرن الثاني ميلادي إلى غاية القرن الخامس ميلادي، وجاءت هذه الدراسة انطلاقا من محاولة استنتاج أهم المؤشرات والدلائل الأثرية لوجود الديانة الوثنية، وإبراز التحولات الدينية الطارئة على المنطقة انطلاقا من منتصف القرن الرابع ميلادي، وقد حاولت التأريخ لبداية انتشار المسيحية ومظاهر الصراع الكاثوليكي الدوناتى، إضافة لدور رجال الدين في مدينة تهودة ومشاركتهم في المجامع الدينية (قرطاج سنة 411م و484م).

الكلمات المفتاحية: تهودة، بيسكرة، أساقفة، المسيحية.

Abstract:

In This article we will make a study about the religious reality in the Region of Thouda and its near environs from the period of the second century AD until to the fifth century AD, and show the most important indicators and archaeological evidence that showed the pagan religion in the region, as well as highlight the religious transformations that took place in the region from the middle of the fourth century AD, then trying to explain the date related to the beginning of the Christianity and the many manifestations of the Catholic against Donatist, and the role of the Bishops in the city of Thouda and their participation in the religious councils as (Carthage 411A.D) then (Carthage 484 A.D).

Key-words: Tahouda; Biskra ; Bishops; christianity.

تقع المدينة الأثرية تهودة على بعد 06 كلم شمال بلدية سيدي عقبة، بولاية بسكرة، قديماً أخذت تهودة دوراً تاريخياً مهماً منذ الحقبة الرومانية نظراً لدورها في حماية الحدود الجنوبية للإمبراطورية الرومانية، كما تندرج ضمن المدن المحصنة، تطرقت إليها العديد من المصادر القديمة: وصفها (بليينوس) بـTABUDIUM OPPIDUM، كما نجدها أيضاً باسم THABUDEOS، ذكرت أيضاً الجغرافي بطليموس ولوحة بوتنجر¹، كما سُجلت أيضاً في محاضر المجامع الدينية برفقة أساقفتها، كذلك للمدينة أهميتها الحضارية سواء في الفترة القديمة أو الوسيطة وهذا من خلال آثارها².

خلال الفترة الرومانية، تطورت المدينة من حيث العمران والمجتمع، وبدأت المدينة تشهد تفاعلاً حضارياً من خلال استقرار الجنود المسرحين من خدمة الجيش الروماني أو حتى التجار، في البداية، كان المعتقد الوثني هو المسيطر في أوساط المجتمع على الأقل القرن الأول والثاني وحتى الثالث الميلاديين، وهذا ما كشفته العديد من النقائش اللاتينية (أسماء آلهة، أهداء للإمبراطور)³، وتعتبر الديانة الوثنية من أكثر الديانات انتشاراً في الجزائر قديماً خاصة خلال القرن الأول ميلادي، أصبحت فيما بعد أكثر تطوراً وتنظيماً؛ وذلك لظهور جهاز كهنوتي يضم مختلف الرتب الدينية وينتمي إلى المجلس البلدي يسهرون على تنظيم الشؤون الدينية والمهام الكهنوتية والاحتفالات⁴، ولا نستبعد وجود الكاهن (FLAMEN) في مدينة تهودة خلال القرن الثاني ميلادي. كما نجد أيضاً الكاهن الأوغسطسي (FLAMEN AUGUSTI) والكاهن الأبدي (FLAMEN PERPETUUS)، وينحدر هؤلاء من العديد من الرتب المحلية، ويمكن أن يتم ترقيتهم إلى رتب أعلى كمسيرين للديانة في المقاطعات الرومانية⁵.

لكن، كل هذا التنظيم للديانة الوثنية هذه، لم تستمر في المدينة، وبدأت هناك تحولات كبرى في المجتمع من خلال بداية الظهور المسيحية في المقاطعات الإفريقية الرومانية في أواخر القرن الثاني الميلادي، وأصبحت المسيحية تظهر كدين موازي للوثنية.

إن انتشار المسيحية في المنطقة بداية القرن الرابع الميلادي، جعل من السلطات الرومانية تُصعد التعامل مع المسيحيين؛ وبدأت حملات القتل والتجهير للمسيحيين، وسجلت المصادر الدينية المسيحية مدى معاناة أفرادها من خلال المراسيم الإمبراطورية التي تمنع هذه الديانة وتتابع وتقتل معتققيها، حيث سجلت النقوش العديد من الشهداء⁶.

¹- حاجي، ياسين رابح، 2014م، ص ص. 33-54.

²- HADJI, Y-R., 2006, pp. 326-339.

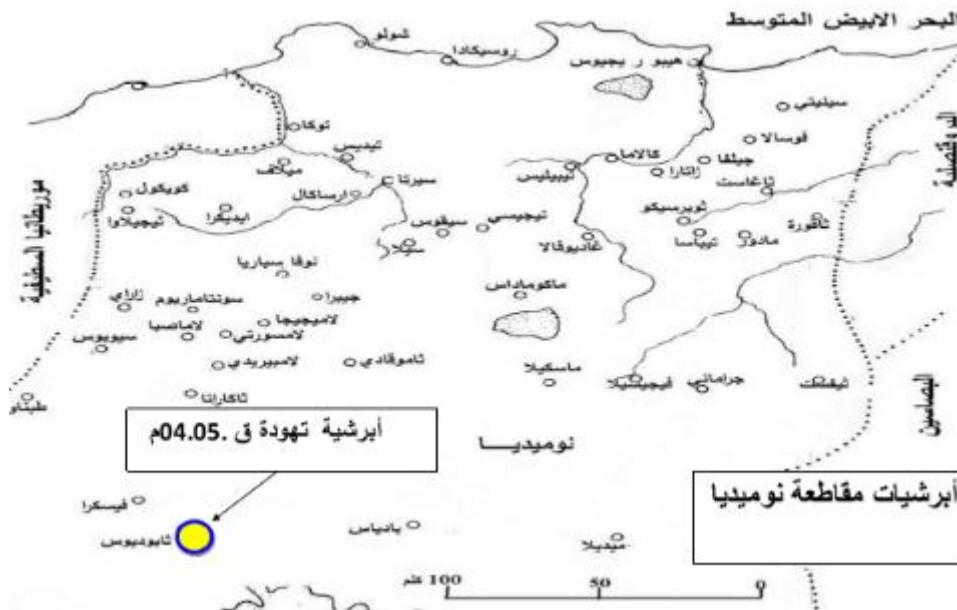
³- MORIZOT, P., 2010, pp. 817-841.

⁴- PAVIS D'ESCURAC, H., 1980, p. 193.

⁵- SELMI, S., 2011, p. 204.

⁶- عمران، عبد الحميد، 2010م، ص. 159.

لكن على الرغم من الاضطهاد، إلا أننا رأينا انتشار المسيحية في المقاطعات الإفريقية (الخريطة 01) منذ بشكل ملحوظ.



الخريطة 01: تبين أبرشيات مقاطعة نوميديا خلال القرن الرابع الميلادي. عن: عمران، عبد الحميد، 2010م، ص. 162.

تعتبر المجامع الدينية من أهم المؤتمرات خلال الفترة القديمة، بدأت في الظهور مع بداية القرن الثالث الميلادي، وتعتبر مدينة قرطاج من أكثر المدن التي احتضاناً لهذه المجامع، ومن الأسباب التي أدت لقيام هذه المجامع حل المشاكل، التي كانت تعصف بالمسيحية في كل مرة وابتاعها، أحيانا خلال صراعها مع الوثنية وأحيانا أخرى في الصراع مع السلطات الإمبراطورية، أو من أجل نزع فتيل الصراع الطائفي بين أفراد المسيحية، ولقد كان الصراع الدوناتي الكاثوليكي من أكبر المشاكل التي واجهت المسيحية، فأقيمت لها عشرات المجامع من أجل التخفيف من الصراع الطائفي أو حتى التقريب بين أفراد الطائفة الواحدة من خلال مجامع دوناتية أو كاثوليكية⁷، وقد اعتبرت هذه محاضر هذه المجامع الدينية والرسائل الأسقفية من أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها من أجل الكشف عن أساقفة المدن الرومانية وأهم أعمالهم الدينية.

أول مجمع ديني شارك فيه أساقفة المقاطعات الإفريقية موريطانيا القيصرية هو مجمع قرطاج سنة 256م الذي انعقد في مدينة نفسها تحت رعاية الأسقف العام ومنظر المسيحية الأسقف كيبيريانوس وتم حضور حوالي 87 أسقفا⁸، ثم توالى المجامع الدينية خلال القرن الرابع الميلادي بكثافة لكن لم تسجل أسماء

⁷ MAIER, J. L., 1989, pp. 106, 111, 113.

⁸ DUVAL, Y., 1984, p. 505.

الأساقفة بشكل كبير مقارنة بمجامع القرن الخامس الميلادي، لكن أساقفة نوميديا ومقاطعة بروقنصلية قد شاركوا قبل ذلك التاريخ.

مجمع قرطاج 411م:

على الرغم من انعقاد مجامع كثيرة خلال القرن الرابع الميلادي إلا أننا لم نحصل على أسماء أساقفة ممثلين لمنطقة تهودة، لكن لا يمكن أن ننفي وجود المسيحية في المنطقة في هذه الفترة، أما وجود أساقفة مدينة تهودة فتبقى المجامع الدينية خلال القرن الخامس الميلادي هي المؤكدة لمشاركتهم في الحوار الكاثوليكي الدوناتي، وأول مجمع ديني تم فيه تسجيل أساقفة تهودة في مجمع قرطاج سنة 411م الذي يعتبر من أهم المؤتمرات الدينية الفاصلة في التاريخ المسيحي من حيث التعداد البشري للحاضرين أو قيمة المجادلات الدينية بين أساقفة الدوناتية والكاثوليكية، ويعتقد أن هذه المجمع الديني بدأت التحضيرات له مع أواخر سنة 410م من خلال طلب الإمبراطور (HONORIUS) ضرورة انعقاد مجمع ديني في قرطاج يضم كل أساقفة المقاطعات الإفريقية الرومانية، وبالفعل قام بإرسال نص في 14 أكتوبر 410م إلى البروقنصل (FLAVIUS MARCELLINUS) يأمره بتهيئة الأجواء وإرسال الدعوات للأساقفة من أجل المشاركة في المؤتمر⁹، وبعد تحضير قارب الستة أشهر انعقد المجمع في مدينة قرطاج شهر جوان سنة 411م¹⁰.

سجلت المحاضر الدينية أن العدد المشاركين والملاحظين فاق ستة مائة مشارك من بينهم 286 أسقفا كاثوليكيًا حاضرا و120 أسقفا غائبا و64 مقعدا شاغرا، أما الجناح الدوناتي فحضر 279 أسقفا¹¹، ولقد شهد هذا المجمع حضور أكبر منظري المسيحية في القرن الخامس الميلادي من بينهم الأسقف أغسطينوس والأسقف أوروليوس زعيم الكنيسة الرومانية بإفريقيا¹²، أما المناظرات الدينية فقد تمت في قاعات فاخرة وكانت الإقامة بالحمامات القرطاجية¹³، وكل مدينة مثلها أسقفا ين على الأقل أحدهما دوناتي والآخر كاثوليكي، شارك في هذا المجمع من مدينة تهودة الأسقف (VICTORINVS) الكاثوليكي وإحتل المركز 183 في قائمة أساقفة نوميديا، وكان مناضرا للأسقف (ARGUTUS) الدوناتي الذي ينتمي إلى مدينته¹⁴، وتم تسجيل هذا الأخير في القائمة 188 قائمة الأساقفة الدوناتيين لمقاطعة نوميديا¹⁵، على الرغم من تواضع مراتبهم في قوائم المشاركين إلا أننا لا نستبعد تسجيل مجادلات دينية بين الحضور.

⁹ - DE VEER, Albert C., 1966, p.193.

¹⁰ - MOREAU, M., 1973.

¹¹ - MONCEAUX, P., 1910, p. 60.

¹² - DUVAL, Y., 1984, p. 520.

¹³ - MONCEAUX, P., 1910, p. 60.

¹⁴ - MANDOUZE, A., 1983, p. 1197.

¹⁵ - Ibid., p. 92.

وكان المحيط الجغرافي لمدينة تهودة متعدد طائفيًا، وكان الأساقفة الدوناتيين والكاثوليك يعيشون في نفس المدينة، ولم نشهد صراعا طائفيًا وأقتتالا فيما بينهم خاصة بعد مجمع قرطاج سنة 411م، والجدول الآتي يبين بعض المدن المجاورة لمدينة تهودة:

مجمع قرطاج سنة 411م		المدينة
الدوناتية	الكاثوليكية	
FORTUNATUS	OPTATUS	VESCERA (بسكرة)
ARGUTUS	VICTORINVS	THABUDEOS (تهودة)
PANCRATIVS	؟	BADIAS (بادس)

يبقى مجمع قرطاج يبين مدى التنظيم الذي حظيت بها المدينة من خلال وجود أسقفين لكل طائفة، كما يعتقد أن الطائفتين الكاثوليكية والدوناتية إستبعدت المواجهات والصراعات الدموية فيما بينها، وإنقلت إلى السلم والمناظرات الدينية الفكرية مع مطلع القرن الخامس الميلادي.

مجمع قرطاج 484م:

بعد انتهاء السيطرة الرومانية على المقاطعات الإفريقية على يد الونداليين سنة 429م، ومع الزحف نحو المناطق الأخرى مثل هيبون سنة 431م وقرطاجة 439م، تحولت كل الممتلكات السابقة إلى السلطة الوندالية¹⁶، وفي ظل الصراع الديني المحتدم في الفترة الوندالية من خلال تهجير الأساقفة الكاثوليك خارج المقاطعة ونشر الدين الأريوسي في الأوساط المجتمعية¹⁷، ونظرا لهذا الصراع الديني دعى الملك الوندالي هونوريك (477م-484م)¹⁸ إلى انعقاد مؤتمر في شهر فبراير سنة 484م بين الأساقفة الأريوسية والأساقفة الكاثوليكين¹⁹، وسجلت المحاضر الدينية حضور أعداد معتبرة من أساقفة المقاطعات الإفريقية الرومانية حيث سجلت مقاطعة البروقنصلية حضور 54 أسقفا²⁰ ونوميديا 12 أسقفا، أما مقاطعة موريطانيا القيصرية فسجلت حضور 120 أسقفا²¹، ويعتقد أن المشاركين قد وصل تقريبا 300 أسقفا²²، وكل مدينة مثلها أسقفا، أما فيما يخص مدينة تهودة فمثلها الأسقف الكاثوليكي (FLVMINVS) وتم تسجيله في المركز 42 في قائمة أساقفة نوميديا²³.

¹⁶ BOURGEOIS, C. 1980, pp. 213-228.

¹⁷ MODERAN, Y., 2009, p. 121.

¹⁸ TOULOTTE, J. A., 1894, p. 77.

¹⁹ MODERAN, Y., 2009, p. 117.

²⁰ DEVREESSE, R., 1940, p. 164.

²¹ MANDOUZE, A., 1983, p. 540.

²² DIEHL, C., 1896, p. 445.

²³ MANDOUZE, A., 1983, p. 479.

نتائج هذا المجمع الديني مواصلة نشر الأريوسية ونبذ الكاثوليكية، مما يجعلنا نتساءل عن مصير أسقف مدينة تهودة، هل هُجر مع الأساقفة الكاثوليك أم عاد إلى مدينته؟ وبعد نقاش حاد وساخن قاوم فيه الكاثوليك الرضوخ إلى غاية الملك الوندالي هونوريك، بعدها أصدر الملك مرسوماً أدان فيه الكاثوليك وعاقبهم، وكان تنفيذ هذا المرسوم صارماً، حيث عذبوا وقتلوا من قاوم ومات منهم الكثير حيث اعتبرهم أتباعهم شهداء، كما صودرت ممتلكاتهم واخذوا كأسرى يقومون بأعمال الفلاحة أو أعمال أخرى وعوملوا كعبيد، كما تم تحويل بعضهم إلى الأريوسية²⁴.

على الرغم من كل المحن لم يتمكن من تحديد مصير أسقف مدينة تهودة بعد مجمع سنة 484م، هل واصل مهامه الأسقفية أم هُجر؟ وعلى الرغم من القسوة الممنهجة والاضطهاد اللامحدود من طرف الوندال، إلا أننا لاحظنا بعض الثبات عند أساقفة نوميديا، وتمسكهم بمبادئ طائفتهم الكاثوليكية²⁵، كما لم نسجل بمدينة تهودة أو ما جاورها أسقفاً أريوسياً على الرغم من أنها المعتقد الرسمي خلال الفترة الوندالية.

مجمع قرطاج سنة 484م		المدينة
الأريوسية	الكاثوليكية	
.....	FELIX	VESCERA
.....	FLVMINIVS	THABUDEOS
.....	PROFICIUS أو RUFINIANUS	BADIAS

ويعتقد أن المسيحية بقيت مؤشراتاً في المنطقة حتى أواخر القرن السابع الميلادي، وبعدها بدأ الإسلام ينتشر في المنطقة بصفة عامة²⁶.

الخاتمة:

على الرغم من النقص الكبير للنقاش اللاتينية التي تبين المعتقد الديني بصفة عامة، فإن المدينة شهدت مراحل كبرى في تاريخها الديني، أولاً الوثنية هي المعتقد السائد في ثلاثة قرون الأولى الميلادية، كما لا نستبعد تنظيم كهنوتيا وثنيا، كما لا نستبعد في الفترة الوثنية وجود معبد للآلهة وإقامة طقوس الخاصة بتبجيل الامبراطور.

²⁴- حاجي، ياسين رابح، 2008م، ص. 35.

²⁵- MODERAN, Y., 2009, p. 121.

²⁶- CAMPS, A., 1983, pp. 07-24.

عرفت المدينة صراعا وثنيا مسيحيا من جهة، ثم صراعا مذهبيا طائفيا من جهة أخرى، تمثل في الدوناتية والكاثوليكية خاصة القرن الرابع الميلادي، فخلال القرن الخامس الميلادي سيطرت الكاثوليكية على المجتمع واندثرت الدوناتية خاصة بعد مجمع قرطاج. كان بالمدينة نوع في الإدارة الكنسية المسيحية المتمثلة في وجود الأساقفة، وهذا النوع من رجال الدين يجعل المدينة مقر للفكر والتعليم القديم. يستوجب وجود الأسقف على رأس الإدارة الكنسية وجود أعوان له من رتب الدينية المسيحية كالرهبان والقساوسة والشماسة والقراء وحتى الخدم والحراس. كذلك لا نستبعد وجود بازيليك كاثوليكية والأخرى دوناتية.

قائمة البيبليوغرافيا:

1. حاجي، ياسين رابح، 2014م، "المسح الأثري بموقع "تهودة" وضواحيه"، مجلة الدراسات الأثرية "أثار"، 12، 01، ص ص. 33-54.
2. حاجي، ياسين رابح، 2008م، البازيليكاات المسيحية في مقاطعة نوميديا (دراسة أثرية-تتميطية)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر.
3. عمران، عبد الحميد، 2010م، الديانة المسيحية في المغرب القديم -النشأة والتطور-(180م-430م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة منتوري -قسنطينة.
4. DE VEER, Albert C., 1966, «Une mesure de tolérance de l'empereur Honorius», in Revue Des Études Byzantines, 24, pp. 189-195.
5. BOURGEOIS, C., 1980, «Les Vandales, Le Vandalisme Et l'Afrique», in AntAfr., pp. 213-228.
6. CAMPS, G., 1983, «Comment la berberie est devenue le Maghreb arabe», in Revue des mondes musulmans et de la méditerranée, 35, pp. 07-24.
7. DEVREESSE, R., 1940, «L'église d'Afrique durant l'occupation byzantine», in Mélanges de l'école française de Rome, 57, pp. 143-166.
8. DIEHL, C., 1896, L'Afrique byzantine histoire de la domination byzantine en afrique (533-709), Paris.
9. DUVAL, Y., 1984, «Densité et répartition des évêchés dans les provinces africaines au temps de Cyprien», in Mélanges de l'école française de Rome, Antiquité, 96, 1, pp. 493-521.
10. HADJI, Y-R., 2006, «Thouda, Aperçu Archéologique», in Aouras, 3, pp. 326-339.
11. MAIER,, J. L., 1987, Le dossier du donatisme: II. De Julien l'Apostat à Saint Jean Damascène (361-750), Akademie-Verlag, Berlin.
12. MANDOUZE, A., 1983, Prosopographie chrétienne du bas-empire, I: L'Afrique (303-533), Paris.

13. MODERAN, Y., 2009, «La notitia provinciarum et civitatum Africae : un témoignage méconnu sur l'Afrique à l'époque vandale», in Bulletin de la société nationale des antiquaires de France, 2003, pp. 116-122.
14. MONCEAUX, P., 1910, «L'église donatiste au temps de saint augustin», in Revue de l'histoire des religions, 61, pp. 20-77.
15. MOREAU, M., 1973, Le dossier Marcellinus dans la correspondance de Saint Augustin, Études Augustiniennes, Série Antiquité, 51.
16. PAVIS D'ESCURAC, H., 1980, «Flaminat Et Societe Dans La Colonie De Timgad», in AntAfr., 15, pp. 183-200.
17. SELMI, S., 2011, «Flamines Provinciae Africae (Contribution à l'étude des prêtres provinciaux africains sous le haut empire romain)», in Synergies Tunisien, 3, pp. 195-212.
18. TOULOTTE, J. A., 1894, Géographie de l'Afrique chrétienne: Mauretanie, Paris.